السخرية في شعر ابن شهيد

الأستاذ المشارك الدكتور
جواد سعدون زادة
جمهورية إيران الإسلامية
جامعة شهيد تشمران الأهواز- كلية الالهيات والمعارف
الاسلامية قسم اللغة العربية وآدابها
dr.sadounzadeh@gmail.com

The irony in the poetry of Ibn Shahid

Associate Prof, Dr
Jawad Sadoun zadeh
Islamic Republic of Iran
Shahid Shamran University Ahvaz - Faculty of
Theology and Islamic Knowledge Department of
Arabic Language and Literature

الملخص:

هدفنا في هذا المقال ذكر أحد شعراء السخرية في العصر الأندلسي وهو ابن شهيد . فالسخرية فنٌ مريح ومفرح ويقلل أحزان الإنسان وآلامه لهذا بدأنا بحثنا بتعريف السخرية لغةً واصطلاحاً وعرفّنا حياة الشاعر ومن خلال دراسة حياته ذكرنا الأوضاع السياسية والاجتماعية والطبيعية في الأندلس ثمّ تطرقنا للسخرية في أشعار ابن شهيد وفي الخاتمة أتينا بالنتائج التي حصلنا عليها خلال البحث.

الكلمات الدلالية : شعر – السخرية- ابن شهيد.

Abstract:

Our goal in this article was mentioned by one of the poets in the Andalusian era, the son of Shahid. The art is a joyful and joyful art. It reduces the grief and pain of the human being. We began our search by defining the jargon of the language and terminology and we learned the life of the poet and through his study we mentioned the political, social and natural conditions in Andalusia and then we discussed the mockery in the poems of Ibn Shahid and in the conclusion we came to the results we obtained during the research.

Keywords : poetry - Sakhariyah - Ibn Shahid .

المقدّمة:

إنّ العصر الأندلسي من العصور التي حدثت فيه الكثير من الاضطرابات و الفتن فهو عصر لم يلق الأمان و الاستقرار السياسي فقد كان الأدب مرافقاً لكلّ هذه الإضطرابات طيلة القرون الثمانية. و من الطبيعي أن تشيع فيه الموضوعات الشعرية لأنّ الشعر و مواضيعه كانت من العناصر الهامّة في تلك الحقبة للتعبير، لاسيما السّخرية التي أخذت حيزاً كبيراً من الشّعر الأندلسي فكانت هي المرآة التي تعكس أحوال المجتمع و تصوّر الواقع الإنساني فأخذت ألسنة الشعراء تنطق بأشعارها لأنّ في بيئة كبيئة الأندلس المليئة بالفتن لابّد من وجود عنصر الإضحاك للتّرويح عن النّفس حتّي لو كان هذا العنصر يحمل في طياته الأحزان و المآسي.

فحاولت في هذا المقال أن أتطرق إلي الأشعار التي وردت فيها السّخرية ، و أتحدّث عن شعراءها و عرّفت السّخرية لغة و اصطلاحاً ثُمّ تطرّقت إلي فرقها مع الفكاهة و الهجاء و من ثمّ أخذت شعر إبن شهيد فشرحت السّخرية فيه

والغرض من ذلك دراسة السّخرية في شعرإبن شهيد دراسة دقيقة و التّعرف إلي كيفية تطرّق الشعراء لهذا الأدب السّاخر و دراسة المجالات التي تطرقت لها السّخرية.

السخرية:

لغة:

وَرَدَ في معجم المقاييس عن مادة «سخر» مايأتي: سخر: السّين والخاء والرّاء أصل مطرد مستقيم يدل علي احتقار و استذلال . من ذلك قولنا سَخّرلنا الله عزّ و جَلّ الشّيء و ذلك إذا ذلّله لأمره و إرادته. و يقال رَجُل سُخرة: يسخر في العمل . و سُخرة أيضاً إذا كان يسخر منه، فإن كان هو يفعل

ذلك قلت سُخَرَة بفتح الخاء و الرّاء». **(ابن الفارس، أبوالحسن احمد، ١٩٨٩ م، مادّة «سخر»)**

و ورد في محيط المحيط: «سخرت السفينة تسخر سخراً أطاعت و طابت لها الرّيح و السّير فهي ساخرة (ج) سواخر. و سخر فلاناً سخرياً و سُخرياً كلفه مالا يريده و قهره. يسخر منه و به، يسخر سَخراً و سَخراً و سُخراً و سُخرَة و مَسخَراً هزئ به و منه و إن تسخروا أمنّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون أي تستجهلونا أي تنسبونا إلي الجهل فإننا نستجهلكم كما تستجهلوننا. سَخَّرهُ و تسخّرهُ كلّفه عملاً بلا أُجرة.و منه سخر لكم الشّمس و القمر دائبين.

السّخرة من يسخر من الناس. السُّخري و السِّخري الإسم من سخر و العمل قهراً بلا أجره. و في الكليات كل ما في القرآن من سخر فهو الاستهزاء الاّ سخرياً في الزّخرف حيث يقول: ليتّخذ بعضهم بعضهم سخرياً. فإنَّ المراد به التسّخير و الاستخدام. السّخرية الاسم من سخر و القصيدة السّخرية أضحوكة نظمها بعض المولدين». **(البستاني، بطرس، ١٩٨٩، مادّة «سخر»).**

وَرَدَ في قاموس المحيط: «سَخِرَ منه كفرِح سَخراً و سَخَراً و سُخرة و سَخراً و سُخراً هَزِئَ ، كاستسخر و الإسم السُّخرية و السُخري و يكسرهُ سَخِرهُ كمنعهُ سخرياً بالكسر و يضَمُّ كلَّفه ما يريد و قَهَرَهُ و هو سُخرة لي و سُخري و سخري و رجل سُخرة كهُمزه يسخَرُ من النّاس و لبُشرة من يسخرُ منه و من يتسخّر و كلّ من قَهَرهُ. و سخرت السّفينة، طابت لها الرّيح و السير» **(فيروزآبادي، ١٩٩١، مادّة «سخر»).**

و من خلال تعريفنا القاموسي للسّخرية تبين لنا ارتباط السّخرية بالنّفس الإنساني فهي تؤدي إلي الاحتقار و الاستذلال فيقال رجلٌ سُخرة.

السُّخرية اصطلاحاً:

«الكلمة اليونانية - ايرونيا eironia - التي اشتق منها المصطلح الأروبي كانت وصفاً للأسلوب في كلام إحدي الشّخصيات بالملهاة اليونانية القديمة

المسمّي بـ «ايرون»eiron . و كانت هذه الشّخصية تتميز بالضّعف و القصر مع الخبث والدّهاء، كما كانت دائماً تتغلّب علي شخصية الازون alazon الفخور الأحمق و ذلك عن طريق الخداع و إخفاء ما يمتاز به من قدرة و ذكاء. و بقي المصطلح الأُروبي يحتفظ بذلك المعني، فسخرية سقراط في محاورات افلاطون تتميز بالتظّاهر بالجهل و إخفاء الذّكاء و باستعداده للتّسليم بآراء مختلفة عن رأيه بغية الوصول إلي البرهنة علي بُطلانها. فتمثل السّخرية السقراطية إذن في منهج جَدلي يعتمد علي الاستفهام مع التظّاهر بالجهل بقصد جعل الطرف الآخر في المحاورة يدلي برأي خاطئ يضطرّ إلي تصحيحه بنفسه». (وهبة، مجدي و مهندس، كامل : ١٩٨٤، ص١٩٨).

أمّا السّخرية في مفهومها البلاغي : «فهي طريقة في الكلام يعبّر بها الشّخص عن عكس ما يقصده بالفعل ، كقولك للبخيل «ما أكرمك» (المصدر نفسه،١٩٨٤، ص١٩٨).

و قد تكون السّخرية عبارة عن إهانة أو استهزاء تمسخر و لكن لأجل الإصلاح الحقيقي و ليس الوهمي الكاذب أو لأجل مصالح إجتماعية بغرض تقويم الإعوجاج. قد تكون عبارة عن تحسر الشّخص علي نفسه كقول البائس «ما أسعدني» (المصدر نفسه، ١٩٨٤، ص١٩٨) .

و قد يكون الغرض منها هو الهجاء غالباً، إما هجاءًا مستوراً أو توبيخاً أو ازدراءً ، «مثال التوبيخ، قول أبي الأسود الدؤلي(٦٥٢هـ): (المصدر نفسه،١٩٨٤، ص١٩٩).

لاتنــه عــن خلــق و تــأتي مثلــه عــارٌ عليــك إذا فعلــتَ عظيــم

و مثال الازدراء قول المبتني (٣٥٤ .هـ): (المصدر نفسه،١٩٨٤م ،ص١٩٩).

لاتشــتر العَبــد الاّ والعصامعــه إنّ العبيــد لأنجــاسٌ مناكيــد

فرق السّخرية والهجاء:

السّخرية لون من ألوان الهجاء ، والهجاء «لعنات يصبّها الأفراد علي أعدائهم و أعداء قبائلهم» (ضيف ، شوقي : ١٩١٩م،ص٢٢٢).

و منشأهُ الحقد والغضب والكراهية والسّخط يرمي الشّاعر بكل سهامه حتّي يقيض عدوّه أي المهجوّ بأشعار تحمل في طياتها معاني التهوين و التّحقير والتّصغير يلجأ الشّاعر في الهجاء إلي هتك الأعراض و تارة يتّخذه سلاحاً حارّ اً في الحروب و وسيلة لسل السّيوف .

ظلّ للهجاء في العصر الأندلسي بقية مع أنّه لم يقم سوقه رائجاً كماكان عليه في العصور السّالفة فقد قال سعد بوفلاقة، يقول الدّكتور جودت الرّكابي : «أمّا الهجاء فلم تقم له سوق رائجة في الأندلس، ولاسيما الهجاء و الّتكسب والمجون فلم يكن هناك هجاء سياسي بالمعني المعروف عند المشارقة ، كالدّفاع عن العرب و ذم الشّعوبية ، لأنّ الشّعوبية لم يكن لها شأن في الأندلس»

(١٩٨٤م،ص١٩٩).

إنّ الهجاء مع قلّة قصائده الطّوال في العصر الأندلسي له أنواع منها النّقد الإجتماعي و هو هجاء الفقهاء والقضاة ، فهذا النّوع له ارتباط مع السّخرية لأنّه يرمي إلي إزالة العادات الخلقية التي لا يرغب بها ، مِن المجتمع ، فالنّقد الإجتماعي والسّخرية يسيران في طريق واحد . فقد نجد مقطوعةً عند أبي البكر اليكي في هجاء الفقهاء يقول :

ثماني حضالٍ في الفقيه و عرسه ... و ثنتان والتّحقيق في الأمر شيق

و يكذب أحياناً حانثاً ... و يكفر تقليداً ويرشي و يحمق

و عاشره الذّنب فيها لأُمه ... إذا ذكرت لم يبق للشّتم منطق

(شكعة ، مصطفي ، ١٩٨٩م)

والنّوع الثّاني هو الهجاء السّياسي الذي كان قليلاً في هذاالعصر والنّوع الآخر هو هجاء الملوك والحكام ، و هنالك نوع آخرمن الهجاء و هو «الهجاء الفاحش الذي يتصف في الغالب بصفة التّشهير بين شاعر أو أحد أعدائه» (أبوفلاقه ، سعد : ١٤٢٤هـ،ص٢٠٠).

فهذا الهجاء الفاحش يندمج بالألفاظ البذيئة الفاحشة و هو هجاء مقذع ، من ذلك ما قالته ترهون بنت القلاعي الشّاعرة الغرناطية في شخص طلبها للزّواج و كان قبيح المنظر والشّكل :

عَـذِيري مـن عاشـق أنـوك سَفيـه الإشـارة والمنـزَعِ
يـروم الوصـال بمـا لوأتـي يـرومُ بِـهِ الصَّفـع لم يصفـعِ
بـرأس فقيـر إلـي كيـهِ وَوَجـهِ فقيـر إلـي بُرقـعِ

(المصدر نفسه،ص٢٠٠).

إذن الهجاء هو طعن وهتك و سب لاغير، بينما السّخرية التي تكون لوناً من ألوان الهجاء و تندرج في صلب أشعاره، أغراضها مختلفة و ما تهدف إليه يختلف تماماً عمّا يهدف إليه الهجاء فالغرض من السّخرية التّهذيب و الإصلاح مع أنها تندمج بالفكاهة تارة و تثير الضّحك. و قد يكون الهجاء. لاذعاً و نافذاً و لكن مر السّنين قد يقلّل من لذعته و نفوذه و لكن السّخرية بما أنّها تبين الواقع الإنساني و الإجتماعي و السياسي لا يستطيع مرالسّنين و الزّمان أن يساعد علي محو تأثيرها فهي «مهدّيء ضروريّ حتّي يستطيع المرء باستعانته أن يواجه أهمّ المسائل و أصعبها». (سعيدپور،سعيد: طنز آرتور پلارد،ص٩).

فرق السّخرية و الفكاهة:

الفكاهة «الصفّة في العمل أو الكلام و في الموقف أو في الكتابة التي تثير الضّحك لدي النظارة. و قد اختلف النقّاد في ماهية هذه الصّفة فأرسطو مثلاً

ينسبها إلي عيب أو تشويه في أمرٍ مالايصل إلي مرتبة الإيذاء و الإيلام. فالضّحك عنده تعبير عن استهزاء ملطّف ينتج عن اكتشاف نقطة ضعف لدي الغير يعتقد لضاحك أنه هو نفسه لايتصف بها».

(وهبة، مجدي و مهندسي كامل، ١٩٨٤م، ص٢٧٦).

الفكاهة هي الضّحك بدون غرض الاستفزاز و تندرج في طياتها الغفلة التي تبين جهل المتكلم فيعرف بالجاهل فيكون جهله و عدم فطنته مثيراً للضّحك و الدّعابة. و هي المزاح و اللعب و الغرض منها التّرويح عن النفس و تتراءي لنا مداعبات الأصدقاء لبعضهم مليئة بالمزاح النّاعم اللطيف الذي يؤدّي إلي الإضحاك دون أن يقصد به التّجريح، و الإيلام . و تُعتبر الدّعابة نوعاً من التّسلية و من هذه المداعبات ما قاله الشاعر أبو جعفر بن سعيد:

مـــــولاي هـــــذي بُـــــردتي و ليس ش شـيءٌ دونهـا أملـك

و صِـرتُ مِـن بـأسٍ و مـن فاقـة أبكـــي إذا أبصــرتُهـا تضــحك

(قزيحة، رياض،١٩٩٨ ، ص١٧٠)

أراد الشّاعر في هذين البيتين أن يداعب صديقه فوصف بردته علي لسانه التي تشققت و أصبحت مندرسة فتشققها و خرقها كأنّه ثغر مبتسم فهذه البردة مع أنّها تضحك لكن صاحبها حزين فكأن ضحك تلك البردة هو السبّب في بكائه. هذه مداعبة لطيفة و ناعمة و الغرض منها الإضحاك لاغير.

اتّضح لنا من خلال النّماذج و التّعاريف التي وردت أنّ الغرض من الفكاهة هو الإضحاك و التّسلية بدون إيلام و تجريح. فالفكاهة قد تتفق مع السّخرية في عنصر الإضحاك لأنّ السّخرية هي الأخري تثير الضّحك الّذي يجعل التّجريح و الإيلام رفيقاً له فالرّابط بين هاتين الظاهرتين هوالضحّك و لكن الغايات تختلف، فالسّخرية غايتها التعبير عن مأساة المجتمع و تبين الواقع الانساني و السياسي بأسلوب مضحك. إذن الفكاهة ليست هي السّخرية كما

يظنّ البعض. إنّ الأدب السّاخر في وصفه النّاس و الأحداث إلي استدرار الضّحك و قد يكون له من وراء ذلك فلسفة، هي محصل مزاجه الخاص أو تجربته في الحياة كأن يري في تقاليد المجتمع مالا فائدة به أو يري في المثل الخُلقية رياءًا و اصطناعاً ينبغي تدميره من خلال السّخرية، إذن السخرية وسيلة لأجل الوصول للغاية و ليست هي بغاية.

السّخرية هي المأساة التي يعانيها النّاس فاتخذت في شتي المجالات السياسية و الاجتماعية التي تكون عبارة عن تصوير مأساة المجتمع الذي يعيشون فيه و اتخذت أيضاً في المجال الاقتصادي.

يجدربنا أن نأتي بأمثلة شعرية حتّي يتبين لنا فرقهما بصورة واضحة من ذلك ما نظمه ابن خفاجة و قاله في بعض الذين يتظاهرون بالعلم و الأدب والدّين و لكن في الحقيقة هم منتهزون للفرص فيسخر بهم قائلاً:

درسوا العلم ليملكوا بجدالهم فيها صُدور مراتبٍ و مجالس
وتَزَهّدوا حتي أصابوا فرصة في أخذِ مال مساجدٍ و كنائس

(شكعة ، مصطفي ،١٩٨٦، ص٩١)

فهؤلاء العلماء تزهدّوا وتدّينوا حتّي يصلوا إلي المجالس والمنابر و ينهبوا أموال المساجد والكنائس ، ومن خلال الأشعار يصف نفسهم و ذاتهم الحقيقية التي تكون خفية علي الناس .

و من الأشعار الفكاهية ما قاله أبوبكر محمد بن أحمد الأنصاري الإشبيلي المعروف بالأبيض و هو يهنأ بولادة مولود و يعمد إلي الفكاهة والمزاح المحبّبة .

صاخت الخيلُ آذاناً لصرخته واهتزّ كلُّ هِزَ برٍ عندما عطسا
تعشّق الدّرع مُذشُدّت لَفائفه وأبغَضَ المهدَ لّما شاهد الفرسا
تَعلّم الرّكضَ أيام المخاضِ به فما امتطي الخيل إلاّ و هو قد فَرسا

(المصدر نفسه ، ١٩٨٦،ص٩١)

كانت السّخرية تري في المجتمع ما لم يتسامحه نور البصر و تحاول أن تعبر عنه بأسلوب ضاحك يحمل في طياته الحزن و الأسي و تَخَفُّق أصوات الحق الضّعيفة لا سيما عصر الأندلسي الذي تدفقت عليه الفتن و الاضطرابات من كلّ جانب فكان الكرة التي يريد كلّ لاعب أن تكون في ملعبه .

حياة إبن شُهيد الشّخصية:

أبو عامر أحمد بن مروان بن شُهيد ولد في قرطبة سنة ٣٨٢ هـ و هو من أصل عربي. فقد نشأ إبن شهيد في أسرة ثرية لها مكانتها بين الحكام والمجتمع و ترعرع في أحضان النعّيم منذ نعومةأظفاره ، فقد كان والده وزيراً للمنصور الّذي ولّاه فيما بعد علي ولايات مرسية و بلنسية. اهتمّ والد إبن شهيد بتربيته ، و كان الولدله رغبة في تحصيل العلم منذ صغره فأكبّ عليه و حصل علي ما استطاع تحصيله و يقال إنّه درس ضروب العلم المختلفة مثل الأدب والفقه والطب والكيمياء و غيرهما .

إبن شهيد كان جميل الشّكل و الصّورة و قد تيمت به كثير من الجواري و قد وصفه صديقه إبن حزم قائلاً :

«أمّا حسن وجهه و كمال صورته فشيء تقف الحدود عنه ، و تكلّ الأوهام عن وصف أقلّه ، و لقد كانت الشّوارع تخلو من السيارة و يتعمدون الخطور علي باب داره في الشّارع الآخذ من النّهر الصّغير علي باب دارنا في الجانب الشّرقي بقرطبة ، إلي الدّرب المتصل بقصر الزّاهرة ، و في هذا الدّرب كانت داره. رحمه الله ملاصقة لنا. و لقد مات من محبته جوار كنّ علقهن أوهامهن به ، ورثين له ، فحا فهن ما أملّنه منه ، فصرن رهن البلي ، و قتلتهن الوحدة»

(قريحة ، ١٩٩٨ م، ص٢٩٤)

فإبن شهيد كان ميالاً إلي اللّهو والمرح و اللّعب و غارقاً في اللذات و الشّهوات فأنسته الشّهوات دينه و مروءته «فحطّ في هواه شديداً حتّي اسقط شرفه ، و وهم نفسه راضياً في ذلك بما يلذّه ، فلم يقصّر عن معصية و لا ارتكاب قبيحة»(المصدر نفسه ، ١٩٩٨،ص٢٩٤)

و في العشرينات أي عندما تجاوزسن العشرين حدثت نكبة قرطبة التي كان لها أثرها في نفس الشّاعر فقد اضطرمت فيها نيران الفتن و ثارت السلطات علي بعضها و أحرقت ، مدينتي الزّاهرة و الزّهراء و ظلّت الدّماء تسفك و تنزف فيها طويلاً. فهذه الأحداث تركت جروحاً عميقة من الحزن و الأسي في نفس إبن شهيد مما جعلته يشرب الخمرحتي تساعده علي النسّيان ، فبكي قرطبة طويلاً و رثاها و اصفاً مدينته الجميلة التي عطور أزهارها تملأ الجو و الأرض فاليوم أصبحت عجوزاً ساهكة ذات رائحة نتنة فقال في رثاها :

عجـــوزٌ لعمـــــر الصّبـــا فانيـــــة لهـــا في الحشـــا صـــورة الغانيـــة
تَرَدَّيـتُ مِـن حُـزن عيشـي بهـــا غرامـــاً ، فيـــا طـــولَ أحزانيـــه

(المصدر نفسه ، ١٩٩٨،ص٢٩٤)

فلم تكن نكبة قرطبة محنته الأخيرة وَهمّه الوحيد بل عدم مقدرته علي الحركة و رقدته مشلولاً أثّر فيه فأخذ يرثي نفسه و ينتظر أجله كاتباً وصيته ، و بعد ذلك اشتد المرض عليه و أصيب بالفلج و كان يبلغ من العمر أربعاً و أربعين سنة و بعد ذلك أصيب بالصّمم كل هذه الأمراض بالإضافة إلي نكبة قرطبة دمرت نفسية أبي عامر فأخذ ينادي الخلان و الأصحاب و يعاني من علته و يعكس كلّ ما يعانيه في شعره فيقول لصديقه إبن حزم :

و لّمـا رأيـتُ العَيشَ ولّـي برأسـه وأيقنـتُ أنّ المـوت لاشك لاحـقي
تمنيـتُ أنّـي ساكـنٌ فـــي غابَـة بأعلي مَهبّ الرّيح مِن رأس شاهِق
خليـليّ مَـــن ذاق المنيـة مَـرّة فَقَـد ذُقتهـا خمسيـن قولَة صادق

عليـــك ســـــلام الله إنّـي مفـارقٌ و حسبُك زاداً مِـن حبيـب مفارِق

و من جواب ابن حزم له:

أبـا عـــامر نـــاديت خِلّـاً مصـافياً يفَـــدِّيك مِـــن دَهـــم الخطـــوب

شـــدائدُ يجلُـــوها الإلـــه بلطفـه فـــلا تـــأس إنَّ الـدّهَرجَمُّ المضـايق

(المصدر نفسه،١٩٩٨،ص٢٩٤)

و بعد هذه المعناناة و الألم والوحدة لقد فارق ابن شهيد الحياة سنة ٤٢٦هـ و أغمض عينه إلي الأبد و رقد في أرض قرطبة بين حدائقها و رثاه الكثير من الشّعراء.

حياته الأدبية:

إنّ الشّعر في الحياة الشّعرية لإبن شهيد لم تشغل حيزاً كبيراً عنده بل كانت محدودة. فهو أيضاً كباقي الشعراء له قصائد وصفية و غزلية و مدحية بينما النّثر توسّعت أغراضه عند أبي عامر فله رسائل تناولت أغراضاً شتي منها رسالة الحلو و رسالة البرد و النّار و الحطب و رسالة التّوابع والزوابع و هي من أشهر رسائله.

خصومه وحساده:

إنّ إبن شهيد كان ميالاً للنكتة و الدّعابة و كانت خصوماته الأدبية التي لقي الأذي منها كثيرة، فحاول أن يهاجم هذه الفئة المنتقدة له. و لهفواته في أدبه فأخذ يسخر و يستهزيء بهم في كتاباته. فمن هؤلاء، الأدباء المعاصرين له مثل: أ بي القاسم الأفليلي، الشّاعر الحناط الأعمي الّذي رثاه عند مماته و إبن الفر ضي و جماعات من المعلمين فهؤلاء لم يروا التفّوق في فنّ الشّعر و مقدرة إبن شهيد في الكتابة في هذه الفنون و لم يشهدوا له بذلك. فبدأت سخريات إبن شهيد بهؤلاء. فنراه يسخر بجماعات المعلمين. الذين لم يكن لهم العلم الكافي علي النّحو و اللّغة و بالإضافة إلي ذلك لم تكن عندهم

مشاعر و أحاسيس الشّعراء فيصفهم ساخراً بأشكالهم و عقولهم؛ من ذلك ما يقوله: «و قوم من المعلمين بقرطبتنا ، ممن أتي علي أجزاء من النحو و حفظ كلمات من اللّغة، يحنون علي أكباد غليظة، و قلوب كقلوب البحران، و يرجعون إلي فطن حمئة و أذهان صدئه،لا منفذلها في شعاع الرّقة ، و لا مدبّ لها في أنوار البيان، سقطت إليهم كتب في البديع و النقد، فهموا منها ما يفهمه القرد اليماني من الرقص علي الإيقاع و الزمر علي الألحان».

(المصدر نفسه،١٩٩٨، ص٢٩٧).

و كانت ظاهرة التهكم بأشكال خصومه و منتقديه واضحة، فكان يؤديها بصورة دقيقة و جميلة فيصبح آنذاك رساماً كاريكاتورياً ماهراً في تضخيمه الأنوف و تعريضه الرّؤوس و تشويه الأشكال و اختلاله العقول و الأفهام.

و في مكان آخر يهاجم إبن شهيد أحد خصومه و هو جعفر بن فتح فيشبهه بقردٍ له قرنان فصيره الله كذلك حتي يكون عبرة و موعطة للآخرين فيقول إبن شهيد:

هَـــلا ستـــرت الشَّيـــنَ بـالزَّين ... مـــن قبـــل إحضـــار الـوزيرين؟
قـــد علمـــا أنّهـمـــا أُحضـــرا ... لِخلـــوة أثقـــل مـــن دَيـــن
صدهمـــا عـــن قـردك المصـطفي ... نطحـــة نطّـــاح بـــرَوقَين
و مـــا رأي النّـاس علـي مـا مَضـي ... مِـــن قَبلِـــهِ قـــرِداً بقـــرنَين
أربعـــة فـــي مَجلـسٍ جُمِّعـوا ... فطـــار هـــذان بهـذيـــن

(المصدر نفسه، ١٩٩٨،ص٣٠٠)

السخرية في شعر ابن شهيد:

كما ذكرنا سالفاً عاش ابن شهيد في قرطبة و قد أثرت عليه نكبة قرطبة و ما حَلّ بها من دمار و خراب ، والتحولات التي حدثت عكست هذه الآثار

علي حياة شاعرنا ، مما طبعت سخريته بطابع الشعور باليأس و القنوط و خيبة الأمل التي رافقته مدة طويلة و المرارة و التجريح ، هذه الأسباب جعلته يثور علي خصومه و منتقديه والفئة الحاكمة ، و اتخذ السخرية وسيلة الأريحية لكي يخفف عن ما في داخله من كآبة و حزن ، وأصبحت سخريته مرآة صافية تصوّر لنا الواقع الإنساني المفروض و عورات المجتمع المخبأة تحت الستائر ، مع أنّها تؤدي إلي الضحك والتندر.

يبلغ ابن شهيد مداً بعيداً في تهكماته و سخرياته الأدبية فعند ما ندرس أشعاره في هذا الجانب نجده رسام كاريكاتوري يشوه الأشكال فيضخم الروؤس و يطيل الأنوف و يفسد العقول و الأفهام لاسيما عندما يصل إلي خصومه و منافسيه الذين لقي الأذي و الطعن منهم فلهذا أخذيها جمهم و ينتقم منهم في شعره الساخر و من ذلك رقعه كتبها و هجا فيها خصمه و عدوه جعفر بن محمد بن فتح فسخر منه قائلاً:

هَـــلا ستَـــرْتَ الشَّيْـــنَ بالزَّيْـــنِ مِـــنْ قبـــلِ إحْضـــارِ الوَزيرَيْـــنِ؟
قَـــدْ عَلِـــما أَنَهُـــما أُحْضِـــرا لِخَلْـــوَةٍ أَثْقَـــلَ مِـــنْ دَيْـــنِ
صَدَّهُـــما عـــن قِـــردِكَ المُصطَفـــي نَطْحـــةُ نَطّـــاحٍ بِرَوْقَيْـــنِ
و مـا رأي النـاسُ علـي مـا مَضـي مِـــنْ قَبْلِـــهِ قِـــرْداً بقَرْنَيْـــنِ
أربَعَـــةٌ في مَجْلِـــسٍ جُمِّعـــوا فطـــارَ هـــذانِ بهذَيْـــنِ

(ابن شهيد ،١٩٩٧م ، صص ١٣٧-١٣٨)

(روقين : قرنين)

شبه ابن شهيد جعفر بن محمد بقردٍ له قرون في رأسه و قد شوّه الله شكله و مسخه ليكون عبرة و موعظة لغيره و هذا القرد لايرمي بفضل البيان و تأليف الكلام و الأدب الجيد ، فكل هذه الأشياء مثاراً للتندر و الاستهزاء و تجلب

الغضب و الألم للمهجو ، تبدو السخرية جارحة في أشعار ابن شهيد و تشبيهاته أيضا مقذعة و مؤذيه.

لابن شهيد أشعار أخري يسخر فيها من أبي جعفر بن عباس﴿هو أبو جعفر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلبي صاحب المرية ، قتلهما معاً باديس بن حبوس صاحب غرناطة سنة ٤٢٩ هـ و كان أبو جعفر حسن الكتابة ، مليح الخطابة ، غزير الأدب ، قوي المعرفة جماعاً للدفاتر ، حتي بلغت أربعمائة ألف مجلد ، و أما الدفاتر المخرومة فلم يوقف علي عددها لكثرتها . (أنظر: ابن بسام ، ٢٠٠٠م، ج١، صص ٤٠٠-٤١٧)﴾ وزير زهير الصقلبي صاحب المريّة و هي كمايلي:

أبـــو جَعْفـــر رَجُـــلٌ كاتـــبٌ مَليـحُ شبـا الخـطّ حُلْـوُ الخطَابَـةْ
تمّـــلا شَحْمـــاً و لحمـــاً و مـــا يليـــقُ تملـــؤُهُ الكتـابَـــــهْ
و ذو عَـــــرقٍ مَـــــاء الحَيَـــــاء ولكنَّـــهُ رشـــحُ فضْـــلِ الجنـابَـــهْ
جَـري المـاءُ في سُـفْلِه جَـري لـينٍ فـأحْدثَ في العُلْـوِ منـه صَلَابَـهْ

(ابن شهيد،١٩٩٧م،ص٥٢)

بدأ ابن شهيد في البيت الأول بمدح أبي جعفر علي أنه كاتب مليح الخط كتابته جميلة ثم يعود في البيت الثاني يتهكم به فيصفه بأنه ممتلئ شمحاً و لحماً و ما يليق بأن يملأ بالكتابة فشحمه و لحمه يكفيه بل يمنعانه عن معرفة الكتابة و التأليف، و هو إنسان شديد التعرّق لا سيما في الجزء السفلي مما جعل الجزء العلوي منه صلباً و جافاً لا يفهم و لا يعقل و لا حياء له . السخرية واضحة في هذه الأبيات و هي سخريه مريرة تؤذي النفس و تكدّر الخاطر.

وقال في مكان آخر يهجو كاتباً:

وَيْـحَ الكتابـةِ مـن شيـخ هَبَنَّقـةٍ يَلْقـي العيـونَ بـرأس مُخـهَ رارُ

و منْــتنِ الريـــح إنْ ناحَيْتَــهُ أبــداً كأنّــما مــات في خيشُمـــهِ فــار

(المصدر نفسه ، ص٧٥)

(منتن الريح : كريه الرائحة . ناحيته : وقفت بصّفه ، هَبَنَّقةٍ : لقب «يزيد بن ثروان» المضروب به المثل في الحمق . الرار : الذائب من المخ.)

إنّ الشاعر في هذين البيتين يأتي بسخرية مقذعة يهتك بالكاتب بكل قواه و يصف كتابته و تأليفاته بالقبح و الضعف ثم يصفه بالشيخ الأحمق الذي تنظر عيون الناس إلي مخه الذائب ثم يصفه بمنتن الريحه يحسها كل من يقف بجانبه كأن مات في أنفه فار. إن ظاهرة التهكم بالأشكال البشريه الظاهرية واضحة في شعر ابن شهيد و تعطي سخريته روعة و جمالاً و إقذاعاً و إضحاكاً كثيراً.

و قال يهجو أبا عبد الله الفرضي:

وزيـرٌ مـتي يَستــوزِرِ المِلْـكُ رأيـه أُمِـــرَّتْ لــه في النائبـــات حِبـــالُ

وليس كمنحوسٍ من القومِ مُنحِسٌ تَعاظَـــم حتّــي قيـل ليــس يُنـــالُ

أعانتـــه أمـــوالٌ تخـــوَّنَ عِينَـــها وأعْلَتــــهُ غُثْـــرٌ سُوقــةٌ و سِفـــالُ

له كعبُ نَحْسٍ لم يصاحب به امرءاً علــي الدهــر إلاّرُدَّ و هــو خَيــالُ

ففـي كـلّ عصـر من عصور حَياتِـهِ تُثَـــلُّ عُـــروشٌ أو تُـــدّكُ جِبـــالُ

هو الدّاء و فاستأصِلْهُ تَلْبَسْ جَمالَها وداءُ كُعُـــوبِ المنحِســـينَ عُضـــالُ

(المصدر نفسه، ص١٠٧)

(غثر : سفلة الناس سوقه : عامة الناس، كعب : دور. ، تثل : تزول و تذهِب عزتها . تُدّك : تزلزل

،عضال : داءٌ لاطِبَّ له صعب العلاج .)

إنّ الشاعر في هذه الأبيات يسخر من أبي عبدالله الفرضي ويري كل رأيه و عقيدته تؤدي إلي المصائب و النائبات و هو إنسان منحوس لايوجد مثله بين الناس و من شدة نحسه أصبح لاينال ، والذي جعله في هذا المنصب العالي أي منصب الوزارة هم سفلة الناس و خردتهم و له فضل في النحس لا بالسعد و لا أحد يصاحبه و يرافقه في وجود هذا النقص علي طول الدهر إلا إذا صاحب أحد في شرف النحس و الاستهزاء و كل إنسان يرافقه يجب أنْ يكون مثله سيء الخلق و نحس.

إنّ هذه الأبيات لاذعة و مقذعة فيطعن ابن شهيد من خلال هجاءه الساخر بالوزير أبي عبد الله الفرضي مما يدل علي عدم رضاه من عمال الدولة والفئة الحاكمة و تضجر من استهتارهم و عبثهم في أمور الدولة و عدم اهتمامهم بالمصالح العامة و يقول في هجاء ابن ذي النون:

تَلَقَّبْتَ بالمأمون ظلماً ، و أنني لآمَنُ كلباً حيث لست مُؤَمِّنَةْ

حرامٌ عليه أن يجود ببشره و أمّا النَّدي فانْدُبْ هنا لك مَدْفَنَهْ

سطور المخازي دون أبواب قصره بحُجابِهِ للقاصدينَ مُعَنْوَنَهْ

(المقري ، ١٩٩٨م، ج٤ ص ١٦٨)

يهجو ابن شهيد ابن ذي النون هجاءً مُراً مؤلماً فيري تلّقبه و تكنيه بالمأمون كان ظلماً و عبثاً ثم يصفه بالبخيل الذي لايجود و لايعطي و مع وجوده يدفن النداء و العطاء و لايكن له أي أثر ، والعار و الخزي محفور علي أبواب قصره و كل الذين يقصدونه يعرفون ذلك لأن العار ملطخ علي كل جهات قصره و واضح.

كثرت السخرية عند ابن شهيد لأنّ خصوماته الأدبية كانت كثيرة فلهذا نجد سخريته طابعها حادو صارم و تقوم علي التندر و الاستهزاء و تتضمن التندر بأشكال البشرية من أفهامهم و عقولهم و تثقفهم و مع ذلك عندما نقرأ أشعاره الساخرة نشعر بروح التندر و التفكه الذي يموج في سياقها و فعلاً ابن شهيد يعتبر من أعلام الأدب الأندلسي و له أدب جدير بأن يذكر و يدرس و ينقد و يعلق
عليه .

النتائج:

- في شعرابن شهيد سخرية لاذعة وقد حاول إبن شهيد من خلالها أن يبين حزنه بأسلوب مضحك ساخرو سلس .
- لقد أخذت السّخرية جانباً هامّاً في شعر إبن شهيد ، هذا لأن خصوماته الأدبية كانت كثيرة وقد حاول أن يهاجمخصومه عن طريق أدبه لذا قلّما نجد الفكاهة في شعره ، فإبن شهيد عَلَم من أعلام السّخرية والفكاهة الأندلسية في آنٍ واحدٍ .

قائمة المصادروالمراجع

- أحمد بن فارس، أبوالحسن: معجم المقاييس في اللغة، دارالفكر، الطّبعة الثالثة، ١٩٨٩م.
- ابن خلدون، عبدالرحمن: المقدمة، استقلال، طهران، ايران .
- ابن شهيد:الديوان، حققه و شرحه محي الدين ديب، المكتبة العصرية،بيروت، ط١،١٩٩٧م.

- أبوفلاقة،سعد: الشعر النّسوي الأندلسي (أغراضه و خصائصه الفنية)، دارالفكر، بيروت، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.
- افرام البستاني،فؤاد: المجاني الحديثة،الجزء الثاني و الثالث و الخامس.
- البستاني، بطرس: محيط المحيط ،مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة،١٩٨٧،إعادة الطّبعة ١٩٩٨م.
- سعيدپور، سعيد: طنز آرتوپلاد، نشر مركز، الطّبعة الثّانية،١٣٨١.
- شكعة، مصطفي: الأدب الأندلسي (موضوعاته و فنونه) دارالعلم للملايين، الطّبعة السّادسة،١٩٨٦م.
- ضيف ، شوقي، تاريخ الأدب العربي عصر الدّول و الإمارات الأندلس، دارالمعارف، الطبعة الثالثة، ١١١٩م.
- العبادي، أحمد مختار: في تاريخ المغرب و الأندلس، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
- الفاخوري،حنا: الموجز في الأدب العربي، دارالجيل، بيروت، الطّبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ـــــ،ـــ: تاريخ الأدب العربي، توس، الطّبعة الأولي، ١٣٧٧هـ .
- ـــــ،ـــ: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دارالجيل، بيروت، لبنان .
- فيروزآبادي، مجدالدّين يعقوب، قاموس المحيط ، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩١م.
- قزيحة، رياض: الفكاهة في الأدب الأندلسي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩٨م.
- المقّري: نفح الطّيب ، مكتبة دارالفكر، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩٨م.
- معلوف، لويس: المنجد في اللغة و الاعلام .

• وهبة، مجدي و مهندس كامل: معجم المصطلحات في اللّغة و والأدب، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.